Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيه للفظ الذى يؤدى السجع، ويقدّم الباقلانى قانونا عاما مصنوعا فى شكل مقدّمات تنتج عنها فرضيّة مزدوجة تنحو بالسجع صوب الحسن أو تنحرف به إلى التكلُّف، فيمضى قائلا: "متى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع، كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى".(١) ومن المحقق أن الدرسين البلاغى والنقدى يجعلان أصل الحسن فى المحسنات اللفظية -بل فى التشكيل الصياغى عمومًا- كون الألفاظ توابع للمعانى دون العكس.(٢)

ولا نكاد نجد ما نعزوه من جديد لعبد القاهر الجرجانى. فقد انتهى من خلال النظم إلى تصوّر يروغ إلى اعتبار اللفظ وعاء لموعى فيه هو المعانى التى ينبغى أن تكون لها السيادة والأصالة والتبعية بحكم أوليتها فى النَّفْس، ومن ثم لم ينفلت الجرجانى من دائرة الثنائية المهيمنة على البحث البلاغى؛ أقصد ثنائية اللفظ والمعنى، صحيح أنه كان أبعد نظرًا غير أنه قدّم المعانى وأعلى من شأنها ونظر فى الألفاظ بوصفها توابع وخدمًا وأوعية بما يشير إلى أنها تخلو تارة وتمتلئ أخرى، يقول: "ومن ها هنا رأيت العلماء يذمّون من يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يضيم لهما المعنى، ويدخل الخلل عليه من أجلهما، وعلى أن يتعسّف فى الاستعارة بسببهما، ويركب الوعورة، ويسلك المسلك المجهول. كالذى صنع أبو تمام فى قوله:

سَيفُ الإمَـــامِ الذِّى سَمَّتْهُ هَيْبَتُهُ ... لَمَّا تَخَرَّمَ أَهــلَ الأرضِ مُخْتَرِمَا
قَرَّت بِقُرَّانِ عَيْنُ الدينِ وانشَتَرتْ ... بالأشْتَرَينِ عُيُونُ الشِّرْكِ فاصطلِمَا

وقوله:

ذَهَبَتْ بِمِذْهَبِهِ السَّمَــاحَةُ والْتَوَتْ ... فِيــهِ الظُّنُونُ أَمَذْهَب أم مُذْهَبُ

ويصنعه المتكلِّفون فى الأسجاع".(٣)

---

(١) إعجاز القرآن، الباقلانى، ص ١١٢.

(٢) انظر: مفتاح العلوم، السكاكى، ص ٤٣٢.

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانى، ت محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٤، ص٥٢٣.